

دراسة تمايزات اللغة والجنس في شعر ابراهيم وفدوى طوقان في ضوء

نظرية DSL

ريحانة ملازاده (الكاتبة المسؤولة)*

فرزانه رحمانيان كوشككي**

ريحانه يزدي***

الملخص

إن تأثير الجنس على اللغة وتفكير الأدباء من الإستراتيجيات الجديدة في الدراسات اللغوية التي ظهرت في أواخر القرن العشرين على يد عالمة الأمريكية روبن لاكوف وعُرفت بنظرية DSL. على أساس هذه النظرية، فإن الخصائص المنطوقة والمكتوبة للجنسين قابلة للتمايز والدراسة. ورُمنّا في هذه المقالة دراسة أسلوب لغة الشعر لدى فدوى طوقان وأخيها إبراهيم وفق أطر النظرية لبيان أن اللغة الأنتوية والذكورية تختلف على الرغم من وجود قرابات جينية وعائلية واجتماعية وثقافية حتى في حال معالجة موضوع واحد. وعلى هذه النظرية اخترنا مقاطع شعرية تحت موضوع الشهيد من ديوان الشعاعين الفلسطينيين المعاصرين ضمن الدراسة، وقمنا بدراستها من ناحيتين: المستوى اللغوي والمستوى الفكري، كذلك انتهجنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي - التحليلي وتوصلنا إلى أن أشعار فدوى طوقان بالقياس إلى أخيها إبراهيم تتخللها من العناصر اللغوية في أسلوب الكتابة النسوية كالتكرار والارتكاز والاستفهام بنسبة أكبر. وبما أنّ موضوع الشهيد لا يتطلب توظيف ألوان متنوعة إلا أن ما جاء في أشعارهما كان غالباً بشكل استخدام محدود للألوان وعلى هذا نجد أنّ الشاعرة قد وظفت هذه التشكيلات ضعف أخيها، كما هو الحال فيما يتعلق بالكلام التشكيكي والألفاظ الظنية، فلم يكن مشهوداً بالشكل الكبير على الرغم من أنّ تجلياتها عند فدوى كان أكثر بالنسبة لأخيها، وفيم يخص الناحية الفكرية وجدنا أن الشاعرة تطرقت للتفاصيل والدقة والتصريح بالأحاسيس على نطاق أوسع منه.

الكلمات الدليلية: اللغة النسوية، المستوى اللغوي والفكري، الشهيد، روبن لاكوف، فدوى طوقان، إبراهيم طوقان.

*. أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الزهراء، طهران، إيران
r.mollazadeh@alzahra.ac.ir

** أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها، فرع رامهرمز، جامعة آزاد الإسلامية، رامهرمز، إيران

*** طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، إيران

المقدمة

اللغة عنصر مهم في معرفة اعتقادات وثقافات وأفكار وأسلوبية المؤلفين والشعراء منذ القدم حتى الآن. كما أنها جسر لإقامة علاقات مع الآخرين والتعرف على الحضارات المختلفة والتي تعتبر مرتعاً لانتقال الثقافات وقضاء حاجات البشر التواصلية. وانطلاقاً من هنا، فإن الاختلاف موجود بين لغة قوم وقوم آخر، وعلى نطاق أضيق بين لغة شخص وشخص آخر، وبالتالي بين لغة رجل بالقياس بلغة امرأة.

فدراسة مثل هذه التمايزات، وعدم التناسق بين الأشخاص خاصة بين الرجال والنساء، والتي تنشأ من النظرة الجنسية للغة تعتبر إحدى دراسات علم اللغة في العصر الحديث، حيث تطورت دراسة اللغة والجنس بشكل كبير منذ السبعينيات.

يعتقد "ترادكيل" أن سبب نشأة اللغة هو الأضرب الجنسية، وباعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتطور تبعاً لحاجات المتكلمين فإنها ذات صلة وثيقة بكيفية المدركات الاجتماعية، ومما لا شك فيه أن الرجال والنساء مختلفون من الناحيتين الجسمية والروحية وهذا الفرق هو الذي جعلهما مختلفين من الناحية الاجتماعية، وقد عين لهما المجتمع أدواراً ووظائفاً وشؤوناً متفاوتة، ويتوقع منهما مثاليات سلوكية مختلفة، كل حسب جنسه، فاللغة في الحقيقة تعكس هذه الظاهرة. (ترادكيل، ١٣٧٦ش: ١١٦) فالاختلافات الموجودة في المهارات اللسانية بين الرجال والنساء تُعزى إلى الفروق بين تنشئتهما. (وارداف، ١٣٩٣ش: ٥٢٠) فالقوالب الثقافية والاجتماعية تفرض دوماً أدواراً معينة؛ ليلتزم بها النساء والرجال، ولكن الأهم من ذلك يجب البحث عن الفروق في مفهوم الجنس بعينه. فكان من المقولات المهمة لكشف التمايز في أساليب وأفكار الأدباء الذي حاز على اهتمام اللغويين في الآونة الأخيرة أمثال روبن لاكوف، حيث اعتمدت على أسس هذه النظرية، ودرست أسلوب ولغة النساء في إطار محورين هما المستوى اللغوي والفكري.

انتقت هذه الدراسة شاعرين معاصرين فلسطينيين، هما فدوى وإبراهيم طوقان اللذين تربيا في ظروف بيئية وعائلية واجتماعية وثقافية واحدة، وذلك لتجسيد معالم هذه النظرية في أعمالهما الشعرية ودراسة التمايزات اللسانية لديهما للكشف عن

تأثير اللغة والجنس بصورة موضوعية. وللوصول إلى نتائج مطلوبة اخترنا مقتطفات من أشعار الشاعرين حول مضمون الشهادة، وقمنا بمقارنتهما في ضوء نظرية لاكوف وعلى الرغم من وجود قصائد يتخللها ما يشير إلى الشهيد بصورة غير مستقلة إلا أن القصائد التي استقلت موضوع الشهيد هي كما يلي:

فدوى طوقان	ابراهيم طوقان
الفدائي والأرض	ذكرى دمشق
مرثاة إلى نمر	البلد الكئيب
إلى الشهيد وائل زعيتر	الثلاثاء الحمراء
جريمة قتل في يوم ليس كالأيام	شريعة استقلال
لن أبكى	الشهيد
خمس أغنيات للفدائيين	فلسطين مهد الشهداء
النورس ونفى النفى	رثاء الشيخ الكرمي
ذهب الذين نجبهم	خالدون
شهداء الإنتفاضة	الفدائي
حبيب مدينتي	الشريف حسين

المجدول رقم ١: قصائد حول موضوع الشهيد

أسئلة البحث

- هذه الدراسة تحاول الإجابة عن السؤالين الآتيين:
- ما هي التمايزات اللسانية والفكرية الموجودة لدى فدوى طوقان وإبراهيم طوقان حسب نظرية لاكوف؟
 - ما هو تأثير نوع الجنس في استخدام الأسلوب اللغوي والفكري لدى الشاعرين؟

فرضيات البحث

١. بالنسبة للسؤال الأول يمكن القول إن هناك بعض الافتراقات على المستوى

اللغوى فى مقدار الارتكاز والتوكيد واستخدام الألفاظ الدالة على الألوان والمعدلات، وكذلك فى صراحة التعبير عن الأحاسيس.

٢. فى فرضية السؤال الثانى، يبدو أنّ الجنس بشكل عام كان له تأثير فى استخدام المكوّنات الصوتية، وطريقة ترتيب الكلمات، وطريقة التعبير عن المضامين والمواقف.

خلفية البحث

توجد دراسات متعددة حول لغة الشعراء فى الأدب الفارسى، والظاهر أنها درست اللغة النسوية فى شعر الشاعرات، ولم تتطرق إلى التمايزات اللسانية بين الجنسين الأثوى والذكورى، وأهم هذه الدراسات التى تمت بصلة إلى موضوع بحثنا، هى كما يلى:

- رسالة دكتوراه تحت عنوان «تحليل اللغة النسوية فى الشعر المعاصر العمانى والإيرانى سعيدة بنت خاطر وطاهرة صفارزادة»، من تأليف أبوذر قاسمى آرانى وإشراف يحيى معروف، عام ١٣٩٨ش، حيث تمت دراسة أنواع التوظيفات اللغوية والموضوعية، وأوجه الاختلافات والتشابهات بينهما عن طريق تطبيق النظريات اللغوية ودراستها فى أشعارهما.
- وأطروحة ماجستير عنوانها «دراسة تطبيقية للأسلوب النسوى فى أشعار نازك الملائكة وبروين اعتصامى» عام ١٣٩٣ش لمعصومة درخشان وبإشراف قاسم مختارى، والتى أسفرت النتائج أن الشعر النسوى يتسم بفروق لغوية وموضوعية بشكل أكبر، ولم يتمتع بانسجام واحد.
- ومقال موسوم بـ «انعكاس الجنس فى أسلوب الكلام الأثوى والذكورى من وجهة نظر روبن لاكوف خطبة الإمام السجاد (ع) والسيدة زينب (ع) فى الكوفة أمودجا» عام ١٣٩٧ش، للكاتبة فاطمة رحمان پور ونگس أنصارى، قام المؤلفان بدراسة هذه النماذج التى امتازت بتشابهات مكانية وموضوعية ومقارنتها على ضوء نظرية لاكوف.

- وهناك مقال آخر بعنوان «تحليل العناصر البياني للخطابة الأنثوية والذكورية اعتمادا على منهجية روبن لاكوف في خطب الإمام على (ع) التسع والخطبة الفدكية لفاطمة الزهراء (ع)» عام ١٣٩٧ش، للكاتبين المذكورين أعلاه وعلى نفس منوال الدراسة السابقة وتطبيق نظرية لاكوف على ثلاث مستويات، وانتهت هذه الدراسة إلى أنه العناصر اللغوية كالتأكيد والقسم .. لم تتوافق، ونظرية لاكوف في كلام المعصومين وذهب الباحثان أن نوع المخاطب والسياق والظروف البيئية والمكانية كان له الدور الأكبر بالقياس مع الجنسوية.
- ومقال بعنوان «لغة الحب في أشعار نازك الملائكة وسعاد الصباح» عام ١٣٩٣ش، لروح الله صيادي نژاد ومهوش حسدپور، حيث قاما بدراسة اللغة الجنسوية في النص الشعري لهما على ثلاث مستويات: الأصوات والنحو والمفردات، وتوصلا إلى أن الذات واللغة الأنثوية كانتا مسيطرتان على مضامين الحب في أشعارهما.

ودراستنا باعتبارها تنتمي إلى شعر المقاومة وموضوع الشهادة، ومن ثم انتقاء شاعرين فلسطينيين تربطهما رابطة الأخوة تعتبر دراسة غير مطروقة.

نبذة عن نظرية لاكوف DSL

يعتبر الكلام الأنثوي إحدى المقولات النقدية المهمة في تيارات مساواة الرجل بالمرأة والتي تهتم بتحليل اللغة على أساس الجنس «في الحقيقة إن الجنس عبارة عن معنى اجتماعي من الجنس ويطلق على مجموعة من الصفات والسلوكيات الفردية والجماعية لدى الرجال والنساء في المجتمع.» (ويوين، ١٣٨٣ش: ٢١) وعلى هذا يمتاز الأدب النسوي بالسهولة والبساطة اللاإرادية؛ لأن هذا النوع من الأدب يفتقد الأمور الانتزاعية والعقلية. وعندما تشعر المرأة يكون شعورها عاطفيا، وتحس بمشاعرها الذاتية، ولهذا نحن نجد نوعين من الأدب، أدب يصدر عن المرأة، ويغلب عليه مميزات أنثوية، وأدب آخر يصدر عن الرجل، ويتمتع بمميزات ذكورية، وهذا أمر طبيعي بأن يكون للمرأة عالمها كما للرجل عالمه، ولكل منهما تصورات ونظرات للحياة تختلف عما

عند الآخر. (بوقلافة، ٢٠٠٣م: ٢٥)

إن من أهم النظريات التي قامت بشرح الأسلوب الأثوى بصورة ممنهجة وأطر منظمة هي نظرية روبن لاكوف، تسمى هذه النظرية بالاسم المختصر (DSL)، وهو ملخص لعبارة (The Depth of Sexuality Language)، تعتقد لاكوف أنه على قدر ما يحاول المتحدث الأديب أن يتكلم وفق المعايير اللغوية لدى الجنس الآخر إلا أنه يبرز معالم نوع جنسه ولغته بصورة واضحة، ولكن إدراك هذه الخصائص من الوهلة الأولى ربما يكون صعباً. (لاكوف، ٢٠١٢م: ٢٢) وقد وضعت لاكوف مبادئ نظريتها على أساس ثنائية اللغة والجنس، وتذهب إلى أن السياق الجنسوى في الشعر يقسم بصفة عامة إلى مستويين: اللغوى والفكرى، وكل مستوى له مصاديقه المتعددة الخاصة به. (المصدر نفسه: ٢٩) بناءً على هذا الرأى، فإن المعالم اللغوية تتجسد بصورة أكبر في الشعر، وهذا ما يجعلها قابلة للدراسة.

تحليل مؤلفات المستوى اللغوى

تحت هذا العنوان سنبحث مبادئ منهج لاكوف الأكثر استخداماً لدى الشعارين، ونقوم ببيان خمسة مؤلفات لغوية من المؤلفات التي يتسم بها الشعر النسوى.

١- استخدام الارتكاز والشدة الصوتية

انطلاقاً من أن لاكوف تعتقد أن شدة أداء الصوت و النّفس تظهر بصورة أكبر في اللغة النسوية، فمن المعقول استخدام الارتكاز أو النبر باعتباره من عناصر الظواهر الواقعية عندهن؛ لأنه وفقاً لنظرية لاكوف ليس كل صوت أو مقطع ينطق بنفس الدرجة، فدرجة قوة النفس في نطق الأصوات والمقاطع المختلفة تتفاوت تفاوتاً بيناً، إن الصوت أو المقطع الذى ينطق بارتكاز أكبر يتضمن طاقة أعظم نسبياً، يتطلب من أعضاء النطق الخاصة جهداً أعنف في النطق بالإضافة إلى زيادة قوة النفس. (السعران، ١٩٩٢م: ١٨٩)، وتجدر الإشارة إلى أنه بناءً على العلاقة بين المقولة الجنسوية واللغوية فإن تعدد نسبة التكرار للعناصر الصوتية كالتكرار والارتكاز وغيرها قبل أن ينسب إلى الجوانب

الفنية والبلاغية في الشعر فإنه يعتبر ظاهرة نفسية. (لاكوف، ٢٠١٢م: ٢٠٠)، ولذا فإن المرأة بدليل تأثير الحالات النفسية تعتمد على الشدة الصوتية بشكل أكبر لإبراز تفكيرها وهذا بدوره يؤدي إلى تعدد المقاطع والارتكاز في الشعر. وعليه فعند الأخذ بالاعتبار الجوانب الروحية والنفسانية لدى الشاعرة فدوى طوقان، نجد في أشعارها ظاهرة الارتكاز تبرز مراراً بصورة الارتكاز على الكلمة والارتكاز على الجملة، فعلى سبيل المثال في هذه القصيدة تشير المعطيات الإحصائية إلى أن نسبة تكرار الارتكازات تصل إلى ٣٠ وحدة، وهذا ما سبب إبراز الأصوات في الكلام، والشعور بالموسيقى الشعرية بصورة أفضل: «كفاني أموت على أرضها / وأدفن فيها / وتحت تراها أموت وأفنى / وأبعث عشبا على أرضها / وأبعث زهرة.» (طوقان، ١٩٩٣م: ٤٤٢) لقد استخدمت الشاعرة مقاطع قصيرة متعددة في سياق موضوع الشهادة، لتعلن عن حزنها الأليم وتبرز عواطفها الجياشة بصورة الارتكاز والشدة الكلامية.

في المقطع التالي من قصيدة (إلى الشهيد وائل زعيتر) تنوح الشاعرة على "الشهيد وائل زعيتر"، وتتألم وتحجل من تضحياته وبطولته، ونرى في عبارات الشاعرة أنها وظفت الارتكاز والشدة الصوتية لتعضد فكرتها: «حين جاء النبا الريان من دمك غطانا الخجل / حين قالوا: كانت الغربية والداء له زاداً وماء / حين غطانا الخجل / حين قالوا: كان يعطينا على جوع، تمللنا / وغطانا الخجل.» (طوقان، ١٩٩٣م: ٤٧٠)

في النصين السابقين بما أن الكلمات أغلبها ذات مقطع، أو مقطعين نستطيع أن نتبين الارتكاز بوضوح؛ لأن الظواهر الصوتية في اللغة العربية تتميز بمخائص وأنظمة متعددة، فالنبر الذي يعترى أعضاء النطق أثناء التلفظ بمقطع ما من مقاطع الكلمة يؤدي هذا النشاط إلى زيادة في الشدة في واحدة، أو أكثر من عناصر المقطع... فإذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطع واحد فالنبر عليه إطلافاً وإذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطعين فالنبر على ثانيها. (أنطاكى، ١٩٧١م: ٢٢-٥٢)، فنلاحظ أنه كلما كانت المقاطع تتكون من كلمات ذات صوت واحد أو صوتين فالنبر والشدة الصوتية في الكلام سيكون أكثر، كلمات مثل "حين"، "جاء"، "من"، "دم"، "غربة"، "كانت"، "جوع" وغيرها والتي شغلت جانباً قابلاً للذكر في النص الشعري المدروس وأكسبته قوة وشدة في النبر والارتكاز.

وعلى النقيض من شعر فدوى الذى يصدر من أعماق امرأة شاعرة تتمتع بِنَفْسٍ أكبر كما ذكرنا سابقا، فإن أشعار إبراهيم طوقان تتسم بِنَفْسٍ وشدةٍ أقل، والشاعر يبدي أفكاره ومشاعره حول الشهداء بتأن وهدوء دون انفعال وشدة صوتية على الرغم أن كلامه يتناسب وموضوع الشهيد ولا يخلو من مشاعر الحزن، فعلى سبيل المثال فى قصيدة "البلد الكئيب" والذى أنشده الشاعر أثناء العدوان على فلسطين فى يوم "وعد بلفور" نستطيع أن نستكشف أن الجو الغالب على نصه عدم الشدة فى الصوت إلى جانب التأثير واستخدام الارتكاز بصورة أقل:

يا أيها البلد الكئيبُ حياك منهمراً سكوب
لا تبتئس بالظلم إنَّ وغد غذا لناظره قريب
عصب لايسرُّ الظالمين، غدُّ عصب
أشرق بوجهك ضاحكاً والشمس شاتك الغروب
ما بعد غمك غيرُ يو م، تظمئن به القلتوب

(إبراهيم، ٢٠١٢م: ١٠١)

إن الشاعر فى هذه الأبيات بدلاً من استخدام الأوزان الحماسية العروضية والموسيقائية كالمقارب فقد استخدم البحر البسيط الذى يتميز بارتكاز أقل وشدة صوتية أقل، كما أن هذا النمط من شدة الصوت والنفس يبين الأسلوب الذكورى، ويحاول الشاعر أن يظهر فى شعره ما فى مخيلته من أفكار وأحاسيس بصورة أخرى غير الصور الصوتية. - كذلك يمكننا ان ننوه الى أن أسلوب الكتابة النسوية لفدوى طوقان تتناسب ونظريه لأكوف حيث ركزت على الشدة والارتكاز الصوتى أكثر من أخيها إبراهيم كأنه لم يجد بدا من توظيف هذه الظاهرة ويرجح أن يعبر عن مفاهيمه بالتصاوير الفنية عن طريق فنون بلاغية كالتشبية والاستعارة وما شابه ذلك.

٢- استخدام ظاهرة التكرار والتوكيد

كما نعلم أن التكرار من أهم صور التوكيد فى اللغة العربية، وعلى الرغم من أن ظاهرة التكرار لم تُعد من الاستراتيجيات الخاصة بالجنس الأنثوى، إلا أنها تتوفر بكثرة

في اللغة النسوية. فإن التكرار في الحقيقة إلحاح على جهة هامة في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها. (الملائكة، ١٩٦٧م: ٢٤٢)

وعلى أساس منهجية لاكوف، فإن التكرار قبل أن يكون مظهر من مظاهر بلاغة البيان وإحدى الأدوات الفنية في النصوص، فإنه أمر يتعلق بالحالات النفسية للمرأة. وترى لاكوف أن الكثير من النساء الشواعر يستخدمن التكرار بأشكاله المختلفة سواء تكرار المفردات أو الحروف، وبالطبع هذا التكرار ليس بنوعه ظاهرة أسلوبية وصناعة أدبية فحسب بل يجسد ذات المرأة والأسلوب اللغوي لديها والتي تتأصل في مشاعرها. (لاكوف، ٢٠٠٧م: ١٦٥؛ وفايي، ١٣٩٧ش: ١٤٨)

ولذلك وفقاً لرأى لاكوف، يعتبر التكرار سمة مميزة للأساليب الأنثوية والذكورية وعليه فإن أشعار فدوى طوقان توافق هذا الرأى لأنها تحتوى على العديد من التكرار، فتضم نسباً كبيرة من التكرار، وعلى مستويات مختلفة تتراوح بين تكرار الصامت والصائت وتكرار الكلمة والجملة والعبارة. على سبيل المثال في قصيدة "مرثاة إلى نمر" نجد الشاعرة قد قامت بتطويع أنماط مختلفة من التكرار المطلوبها: «أحبتى واخوتى زهر الرياض / لؤلؤ المحار / أحبتى واخوتى الشموس والأقمار... / يا موت يا مجنون يا أعمى العيون / يا اصم / يا قاصماً ظهري الضعيف لى لديك / ألف ثار، ألف ثار / وأنت يا من قيل عنه إنه هناك / حان لطيف بالعباد / حان لطيف بالعباد؟ أين أنت؟» (طوقان، ١٩٩٣م: ٤٧٠)

تتمثل ظاهرة التكرار أمامنا بوضوح، وعلى الرغم من أن الشاعرة اعتمدت على هذه الظاهرة في سياق نصها الشعري إلا أنها لم تُخلّ بها، لأنها استخدمت التكرار المناسب في الموضوع المقتضى له، وراعت المقتضيات الشعرية تخاطب الشاعرة أحببتها وإخوتها بهذه الألفاظ، وتكرر الخطاب لإبراز وتقوية أواصر المحبة بينها وبين المخاطب، وإنشاء علاقة ودية معه، وجذب انتباهه لموضوع خطابها، أيضاً التكرار المنسق لضمير "هم" وحرف النداء "يا" والضمائر "أنت وك و..." توظيف في محله ومتناسب مع الأسلوب الخطابى المتبع في هذا المقطع وأوقع تأثيره على المخاطب، وحرك مشاعره النفسية، كما أن تكرار هذه الضمائر يضيف تواصلاً وتفاعلاً على الحديث مع المخاطب. «يبدو أن

لهذا التكرار وظيفة دلالية ووظيفة إيقاعية؛ فهو يؤكد المعنى الذى يسيطر على الشاعر أكثر من غيره، فيحتل حيزاً أكبر من إحساساته وتفكيره، ثم يكون مركز انطلاق إيقاعى أو نبضاً كافياً لتجديد الحركة الإيقاعية.» (خليل، ٢٠١١م: ٣٢١)

ولكن فإن شعر إبراهيم طوقان يضم تكراراً أقل بالقياس بأشعار أخته، إلا أنه لم يخل من هذه الظاهرة، وحتى فى بعض الأحيان وفى مقاطع من أشعاره تتجلى بوفرة. وبصورة عامة مع الأخذ بعين الاعتبار مقولة تأثير الحالات الروحية و الجوانب النفسية المطروحة فى اللغة والجنس فإن الشاعر من هذا المنظور أقل استخداماً لظاهرة التكرار، وتمثل لاستخدامه لهذا الأسلوب بهذه الأبيات من قصيدة "الشهيد":

عبس الخطبُ فابتسم	وطغى الهولُ فاقتم
رابط الجأش والنهى	ثابت القلب والقدم
لم ييال الأذى ولم	وجمت دونها الهمم
التقى فى مزاجها	بالأعاصير والحمم
تجمع الهائج الخضم	إلى الراسخ الأشم
وهى من عنصر الفتداء	ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة	لفحها حرر الأمم

(ابراهيم، ٢٠١٢م: ٢٠٠)

تبرز ظاهرة التكرار فى هذا المقطع من قصيدة الشاعر حال نوحه على الشهيد، ولكنها تحتل حيزاً غير كبير فيها، وكان يتوقع أن يعبر الشاعر عن شدة تألمه فى بداية القصيدة، ويستهلها بتوظيف التكرار ولكنه مثلما لم يستخدم أسلوب الارتكاز فقد استمر بالتعبير عن حالته الشعورية دون إثارة المشاعر ودون توظيف التكرار لهذا الغرض فى طيات مضامينه، ولقد حاول الشاعر أن يوظف معانى وألفاظاً جديدة حتى يعوض القالب الكلاسيكى وأسلوبه القديم الغالب على قصيدته، أيضاً فإن الموسيقى الشعرية التى استخدمها الشاعر كانت بديلاً عن استخدام التكرار، وكانت الكلمة المستخدمة فى القافية قد أدت هذه المهمة.

وإجمالاً وبعد دراسة العينات واحتساب ظاهرة التكرار فيها انتهينا إلى جملة من

المعطيات:

التكرار	قصائد فدوى طوقان	التكرار	قصائد ابراهيم طوقان
٦٦	الفدائي والأرض	١٦	ذكرى دمشق
٨٥	مرثاة إلى نمر	٢٤	البلد الكتيب
٤٨	إلى الشهيد وائل زعيتر	٣١	الثلاثاء الحمراء
٥٩	لن أبكى	٨	الشهيد
٩	خمس أغنيات للفدائيين	٢٠	فلسطين مهد الشهداء
١٠	النورس ونفى النفى	١٢	رثاء الشيخ الكرّمى
٢٤	ذهب الذين نحبهم	٤	خالدون
٣١	جريمة قتل فى يوم ليس كالأيام	٩	شريعة استقلال
٢٧	شهداء الإنتفاضة	٨	الفدائي
٤٢	حبيب مدينتى	١	الشريف حسين

المجدول رقم ٢: احتساب ظاهرة التكرار

هكذا نلاحظ أنّ ظاهرة التكرار فى شعر ابراهيم تكررت ١٣٣ مرة وفى شعر فدوى ٤٠١ مرة، فنسبتهما تظهر فى شعر فدوى على نطاق أوسع من أخيها وهذا يؤيد نظرية لاكوف حول كثرة استعمال التكرار من قبل النساء.

٣- استخدام الألفاظ الدالة على الألوان

تعتقد لاكوف أنّ النساء أكثر قدرة على معرفة الفروق الدقيقة بين الألوان المختلفة. (لاكوف، ١٩٧٣م: ٦١)

فيستخدمن مثلاً أسماء ألوان مثل البنى الفاتح والبنفسجى الفاتح ونادراً ما يستخدمها الرجال. (نجفى، ١٣٩٤ش: ١٨٨)

فالنساء يرون الألوان بدقة أكبر من الرجل فهناك العديد من درجات الألوان التي يحرصها الرجل فى لون واحد، فمثلاً ينظر الرجل إلى اللون الأحمر والبيضى على أنهما لون واحد بينما يمكن أن ترى المرأة عشرين لونا يندرجون تحت اسم اللون الأحمر. وتعزو لاكوف هذا الاستخدام الدقيق للألوان إلى الحالات النفسية عند النساء: «إن

اتجاه كل إنسان نحو لون خاص يدل على ظروف الاستفادة من هذه المكونات البسيطة وانتقائها يتوقف على أمور مختلفة والتي تؤدي في النهاية إلى إيجاد اعتقادات وعلاقات وأذواق وآمال خاصة، وعند دراسة هذا العنصر نستطيع أن نتوصل إلى أفكار ونفسيات وجنسية من وراء هذا الانتقاء على النحو التالي فالمرأة هي التي تميز الألوان تمييزاً دقيقاً أكثر من الرجل، وتطلق عليها مسميات مختلفة، فتشيع على لسانها أسماء ألوان كالبصلى والكمونى والبيج والطحينى والشمامى والأخضر والذهبي وغيرها فى حين غالبية الرجال لا تستخدمها.» (لاكوف، ١٩٧٥م: ١٢)

والذى نتوقعه أن نجد فى أشعار فدوى طوقان باعتبار المقولة الجنسوية عنايتها بالألوان واستخدامها على أساس مشاعرها الأنثوية، ولكن لم يكن الأمر على ما يرام، فاللون الأحمر فى أدب المقاومة له دلالات عنيفة وهى دلالة الدم والموت، فمن المعقول أن تستخدم فدوى أو أى شاعر يتحدث عن المقاومة والانتفاضة والحرية والاستقلال هذا اللون. ومما جاء أن اللون الأحمر يشير إلى دلالات متعددة منها الحيوية والنشاط فى الحياة والرغبات الجنسية والغضب والانزعاج والطموح والأمل لكل ما يحمل فى طياته علامات الحياة والطاقت الإيجابية. (سان، ١٣٧٨ش: ٨٧)

نتمثل بقصيدة "خمس أغنيات للفدائيين" من أشعار فدوى طوقان من مجموعة الليل والفرسان: «با غدنا، الفتى خبّر الجلاد / كيف تكون رعشة الميلاد / خبّره كيف يولد الأقاح / من ألم الأرض، وكيف يبعث الصباح / من وردة الدماء فى الجراح» (طوقان، ١٩٩٣م : ٤٢١)

فى هذا المقطع توجد إشارات ضمنية إلى مدلولات اللون، فالأقاح جمع لكلمة الأقبوان وهو نبات معروف له زهر أبيض، والصباح أيضاً يدل على اللون الأبيض، لكن لفظة "وردة الدماء" تعبر عن اللون الأحمر الذى ينبع من جراحات الفدائيين، ويرمز للشهادة والنصر، ونلاحظ أن الشاعرة تعبر بصورة غير صريحة عن دلالة هذا اللون، وبالتأكيد تناسبه مع الوردية من مصاديق الأساليب النسوية.

وفى قصيدة «لن أبكى» (المصدر نفسه: ٣٩٥-٣٩٧) التى قدّمها الشاعرة إلى شهداء المقاومة فى الأرض المحتلة تمّ توظيف الألوان الدالة على السواد بصورة تصريحية:

«أحبائي، مسحْتُ عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية»، أو بشكل ضمني: «ويفلت من حصار النحس والعممة»، «ولن نرتاح حتى نطرد الأشباح والظلمة»، لتصوير حزنها عن حضور المحتلين في وطنها. وفي: «أحبائي مصاييح الدجى يا إخوتى فى الجرح..» وظفت صنعة أدبية كالمفارقة فى عبارة «مصاييح الدجى» لىبرز اللون ويؤثر على المتلقى أكثر.

وفى قصيدة مهداة إلى أرواح الشهداء دلال مغربى ورفاقها بعنوان «النورس ونفى النفى»، جاءت بالألفاظ الدالة على اللون الأسود كالدجور مرتين، المظلم والظلماء، والألفاظ الدالة على اللون الأبيض كالنور مرتين، الصبح والصبح، واتت باللون الأساسى (الزرقة)، واللون ذاته بصورة غير تصريحية فى كلمة البحر. (طوقان، ١٩٩٣م: ٤٩٥-٤٩٦)

وتستخدم الشاعرة فى مقطوعة "منتهى الحورانى" اللون الأحمر لرسم مشهد شهادتها، وتنوح على التلميذة الشهيدة فتقول: «ويوم الحبية فى الأسر هبت عليها الرياح / تفتح مريولها فى الصباح / شقائق حمراً وباقات ورد، ورفرف مريولها راية فى صفوف المدارس» (المصدر نفسه: ٤٣٧)

إن الشاعرة هنا استعملت اللون الأحمر مغلفاً بمسحة أنثوية من خلال ألفاظ كالوردة والشقائق؛ لترمز إلى مفهوم الشهادة، ولتعبّر عن كل ما يتعلق بالاستشهاد من حمرة الدماء والتضحية وغيرها.

وإذا أمعنا النظر فى أشعار إبراهيم طوقان سنجد أن اللون الأحمر يبرز بصورة اعتيادية إلى جانب الألوان الأصلية الأخرى مع ملاحظة تعدد الألوان لديه. وفى قصيدة "الثلاثاء الحمراء" يستخدم الشاعر ثنائية اللونين الأبيض والأسود إلى جانب اللون الأحمر: «إذا بيوم راسف بقيوده / فأجاب، والتاريخُ بعض شهوده / أنظر إلى بيض الرقيق وسُوده، من شاء كانوا مُلكه بنقوده / بشرُّ يباع ويشترى / فتحرراً.» (طوقان، ٢٠١٢م: ١٣١)

أنشد إبراهيم هذه القصيدة بمناسبة صدور أحكام الإعدام على الشهداء الثلاثة بتهمة قتل اليهود. وبما أنّ الحرية تعتبر من الحقوق الطبيعية للإنسان نرى أن الشاعر

استخدم الطباقي في اختيار اللونين ليغطي معنى النص الشعري حيث يقصد الإنسان بغض النظر عن الجنس والعرق.

وفي قصيدة أخرى أنشدها إبراهيم بمناسبة إضراب الفلسطينيين يوم وعد بالفور تحت عنوان «البلد الكئيب»، صوّر فيها نساء الوطن اللّاتي ينهضن إثر دماء الشهداء ويدخلن من باب مدينة الخليل ليدافعن عن الوطن والحريّة، نراه قد استخدم اللون الأسود للملابهن حيث يقول: «أقبلن من باب الخليل يمسّن في سود الملابس». (المصدر نفسه، ١٠١) وفي قصيدة «ذكرى دمشق» يصف الشهيد أحمد مريود حين غمره الرحمن في فسيح جناته بنعمه الوفيرة: «واستوى جالساً على رفرفٍ خُضِرِ غوالٍ وعبقري حسان». (المصدر نفسه: ٣٠)

على أساس ما لاحظناه نستطيع أن نستنتج أن اللون في شعر إبراهيم طوقان لا يتميز بالرقّة واللطافة، وهذا ينسب لتمايزات جنسوية وقام الشاعر باستخدام الألوان الأساسية في الأغلب بصوررة تصريحية خلافاً لأخته التي استفادت الألوان الفرعية كالمادى أو وظفت الألوان غير التصريحية على مستوى أوسع.

وهذا ما تذهب إليه لأكوف بأن الاختلاف بين ذاتيات المرأة والرجل يؤثر مباشرة في رؤية كل منهما للألوان، وأن الرجال يميلون إلى المقاربة في الألوان، ولم يلتفتوا لتميز الألوان تمييزاً دقيقاً. (نجفى، ١٣٩٤ش: ١٨٨)، ولكن إذا أردنا أن نستكشف هذه الأسلوبية وفق هذه النظرية في أشعار فدوى طوقان فإننا لم نعثر فيها على تعددية الألوان وتوظيفها بالحساسية الأنثوية كما هو موضح في الجدول الآتي:

التكرار	قصائد فدوى طوقان	التكرار	قصائد ابراهيم طوقان
١٣	الفدائي والأرض	٢	ذكرى دمشق
١	مرثاة إلى نمر	٢	البلد الكئيب
٦	إلى الشهيد وائل زعيتر	٢	الثلاثاء الحمراء
١٠	لن أبكي	٥	الشهيد
٤	خمس أغنيات للفدائين	٢	فلسطين مهد الشهداء
٩	النورس ونفى النفى	٣	رثاء الشيخ الكرمي

٣	ذهب الذين نحبهم	٦	الحالدون
٤	جريمة قتل في يوم ليس كالأيام	٥	شريعة استقلال
١٣	شهداء الإنتفاضة	٦	الفدائي
١	حبيب مدينتي	٠	الشريف حسين

الجدول رقم ٣: الألفاظ الدالة على اللون

تكررت الألفاظ الدالة على اللون سواء المباشرة أو غير مباشرة في شعر ابراهيم ٣٠ مرة وفي شعر أخته فدوى ٦٤ مرة. إذن، كان استخدام الشاعرة ما يقارب ضعف الألوان التي استخدمها شقيقها إبراهيم في قصائده. ومن المثير بالذكر أن الألوان المستعملة في شعر ابراهيم تخص الألوان الأساسية دون التنوع في توظيفها خلافاً لأخته، كما استخدمت فدوى اللون الرمادي في النصوص المذكورة مرة واحدة حيث يُعد هذا اللون طيفاً من اللون الأسود. فالنتائج التي تم حصولها من الجدول المذكور، تؤيد نظرية لاكوف.

٤- استخدام الأساليب والتعابير الظنية والترددية

تعتبر الألفاظ الظنية والتجنيبية والكلام المتردد سمة بارزة أخرى من الخصائص اللغوية النسوية حسب منهج لاكوف. تبدو المرأة أكثر تردداً في حديثها من الرجل، فهي تتردد وتستخدم أسلوباً أقل حزمًا من الرجل. (نعمتي، ٢٠٠٧م: ١٩٠)، تعتقد لاكوف أن «السبب وراء استخدام هذه القيود يرجع إلى أن النساء فاقدات الثقة في المجتمع الذكوري وأنهن يعشن في مكانات متزلزلة منحطة» (لاكوف: ١٩٩٠م، ٥٤) فالألفاظ الدالة على الظنية والتشكيك مثل: «ظن وزعم» ومشقتاتهما و«لعل» و«من الممكن» و«من المحتمل» و«ربما» وغيرها تشغل حيزاً غير واسع في شعر فدوى.

إن الشاعرة فدوى في أشعارها التي تخص بحثنا أي موضوع المقاومة لم تستخدم هذه التعابير المتحفظة والتشكيكية، والتي تُضعف التصريح على نطاق واسع، بل على العكس من ذلك جاءت بألفاظ تعزز التوكيد والشدة والحزم، على النقيض من أشعارها في

موضوع الحب والرومانسية، وذلك يرجع لمقتضى المقام. فالشاعرة فى مقطع شعرى تومئ بصورة غير صريحة لصديقتها الشهيدة تقول: «أحبّنى الكثير غير أننى / بقيت عطشى دوغما ارتواء / كأنما كان الذى بلغته سراب / سمعتها كثير.» (طوقان، ١٩٩٣م: ٣٤٦) كما هو موضح جاءت الشاعرة بلفظة كأنما، والتى تفيد الظن وعدم القطعية، وهى تقول إن الذى وصلت إليه كان سراباً والسراب أمر غير واقعى وبهذه العبارات عبرت عن العطش دون ارتواء فى قالب صورة بياينة وغير حقيقية وذلك بتوظيف لفظة السراب الذى سمعته كثيراً ولكن لن تراه.

وتواجهنا فى مقطع آخر لفظة "لعل" وهى من الألفاظ الدالة على التردد بصورة متكررة: «يا هذه الجدران / الأخوة الأحباب والأهلون / ما يفعلون الآن؟! / لعل قاطفى الزيتون يقطفون / لعل زيتون الجبال / يئن بين فكى المعاصر / لعل دمه يسيل.» (المصدر نفسه: ٤٨٠)

لقد استخدمت لفظة "لعل" ثلاث مرات؛ لتخبرنا بما يعترىها من عدم الثقة والتردد، وتبين عدم استقرار الأمور فى أوضاع المقاومة المتأزمة، فهى تخاطب الجدران، وتسأل عن أحوال الأحباب والأهل، وتترقب قطف الزيتون ترقباً غير موثوق به، هذا الزيتون الذى يئن ودمه يسيل، وترسم لنا صورة عن المصير المجهول لأراضى فلسطين المحتلة وخيراته بهذا الأسلوب التشكيكى النسوى.

ولم تصادفنا فى أشعار إبراهيم طوقان أضراب من الألفاظ الدالة على التردد إلا فى بعض المواضع، فهو يبدى أفكاره بثقة ويقين، ولم يوظف ألفاظ الشك إلا بقلّة، هذه الألفاظ التى هى سمة من سمات الاضطراب والقلق، ولكن نراه قد وظف لفظة "ربما" فى هذا المقطع من قصيدة "الشهيد": «سار فى منهج العلى، يطرق الخلد منزلاً / لايبالى، مكبلاً، ناله أم مجدلاً / فهو رهن بما عزم / ربما غاله الردى، وهو سجن مرتهن / لم يشع بدمعة، من حبيب ولاسكن / ربما أدرج التراب، سلبياً من الكفن» (طوقان، ٢٠١٢م: ٢٠١). استخدم الشاعر فى هذا المقطع ألفاظ كـ "ربما وأم" لعدم تأكده عما سيلاقيه الشهيد وليعرض علينا الصور الاحتمالية لمصيره بعد سجنه، ثم ليظهر شكه تجاه مكان تواجده، فهو إنسان شجاع وواصل للعلا بأى حال من الأحوال سواء مكبلاً أو مجدلاً

ولا يبالي الموت فالعزيمة صارمة لديه. وفي قصيدة «رثاء الشيخ سعيد الكرمي» والذي كان من زعماء فلسطين و تغيير حكمه من الإعدام إلى السجن المؤبد يقول الشاعر:

«أيها الموت، أى مجلس أنسٍ ووقارٍ عطلتَ بعد سعيدٍ
أدب كالرياض في الحسن والطيب ب قريبٍ جناه للمستفيد
وكأنى بعلمه البحر عمقاً واتساعاً نغشاه عذب الورود»

(المصدر نفسه: ٢٤٣)

نلاحظ أنه لم يأت بكلمة «كأنى» إلا لإبداع التصوير الفنى عن طريق بلاغة التشبيه ولا يدل هذا الأسلوب على الضعف الذى تقصدها لاكوف فى استخدام الكلمات الترددية. وتجدر الإشارة إلى أن فدوى فى نصوصها الشعرية التى لم تستخدم فيها الأساليب الظنية والترددية اتكأت على توظيف أساليب نسوية أخرى على سبيل المثال لا نجد فى قصيدة «لن أبكى» التى قدّمتهإلى شعراء المقاومة لا نجد أى توظيف لتلك الألفاظ الظنية والترددية بل قد قامت باستخدام الأساليب الاستفهامية بكثرة (تنطرق إليها فى الأسطر التالية) كما استفادت بشكل وسيع من القيود النحوية فيها: «وها أنا أحبائى ... / وها أنتم كصخر جبالنا قوّة / كزهر بلادنا الحلوة / فكيف المرح يسحقتنى؟ / وكيف اليأس يسحقتنى؟ وكيف أمامكم أبكى؟ / ميمناً بعد هذا اليوم لن أبكى! (طوقان، ١٩٩٣م: ٣٩٦) وقمنا باحتساب الألفاظ الدالة على الظنية والتشكيك لدى الشعارين فى هذا الجدول الاحصائى فكانت كما يلي:

التكرار	قصائد فدوى طوقان	التكرار	قصائد ابراهيم طوقان
٠	الفدائى والأرض	١	ذكرى دمشق
١	مرثاة إلى نمر	٠	البلد الكتيب
١	إلى الشهيد وائل زعيتر	١	الثلاثاء الحمراء
٠	لن أبكى	١	الشهيد
٣	خمس أغنيات للفدائيين	١	فلسطين مهد الشهداء
٠	النورس ونفى النفى	١	رثاء الشيخ الكرمي
٢	ذهب الذين نحبههم	٠	خالدون

٢	جريمة قتل فى يوم ليس كالأيام	١	شريعة استقلال
٢	شهداء الإنتفاضة	١	الفدائى
٢	حبيب مدينتى	٠	الشريف حسين

المجدول رقم ٤: تكرار الألفاظ الدالة على الظنية

هكذا نلاحظ أن نسبة حضور الكلمات الظنية والترددية قليلة لدى الشعارين إلا أن الشاعرة وظّفت هذه الألفاظ أكثر من أخيها وهذا الأمر فى سياق نظرية لاكوف.

٥- توظيف الأسئلة

يختلف الرجال والنساء فى استخدامهم للأسئلة فالنساء يستخدمن أساليب الاستفهام بنسب أكبر من الرجال (نعمتى باير، ٢٠٠٧م: ١٩٨)، وتأسيساً على هذا تعتقد لاكوف أن النساء يستخدمن أدوات الاستفهام على نطاق أوسع من الرجال فالسؤال يقلل من القدرة على إدلاء الرأى بصورة أكيدة، ويدل على التزلزل وعدم القطعية، وتفترض لاكوف أن استخدام المرأة للسؤال القصير يعكس شخصيتها وهو جزء من عدم أخذ المرأة على محمل الجد لأن مثل هذا السؤال يؤكد أنها لا تستطيع أن تصدر قراراً وبالتالي عدم الثقة بها لتحمل المسؤولية. (برهومة، ٢٠٠٢م: ١٢٦) بعبارة أخرى تعتقد لاكوف بوجود نوع من العلاقة المباشرة بين الخصائص اللغوية والمكانة الاجتماعية للمرأة وترى أن عدم الحسم فى خطاب هذه المجموعة، والذى يظهر على شكل استجواب، يرتبط بعدم اليقين بشأن الوضع الاجتماعى غير المستقر. (لاكوف، ١٩٩٠م: ٧٥)

فأوردت فدوى طوقان فى كتاباتها شروطاً متنوعة من الاستفهام، وطرحت الكثير من المضامين الشعرية بصورة استفهامية، ففى قصيدة «الفدائى والأرض» تتحدث الشاعرة كأم شجاعة بعثت أبناءها لساحات القتال لمحاربة العدو، ففى هذه القصيدة تهتم بالشهيد من جهة، ومن جهة أخرى تمدح أمهات الشهداء وتثنى بدورهن عن طريق توظيف أدوات الاستفهام المتعددة مما يضيف على هذا الاستخدام نوع من التردد والتشكيك، والتي تعد من سمات الكتابة النسوية وأدب المقاومة، فتقول: «أجلس كى

أكتب، ماذا أكتب؟/ ما جدوى القول؟/ يا أهلى يا بلدى، يا شعبي / ما أحقر أن أجلس
كى أكتب فى هذا اليوم» (طوقان، ١٩٩٣م: ٣٨٩).

وفى هذا النموذج المذكور استخدمت الشاعرة ضرباً من السؤال الذى يتخلله التردد، وليس له إجابة: ماذا أكتب وما جدوى القول مما يدل على عدم التأكد منها، فهى لا تقصد أن تجيب على تلك الأسئلة، ولكنها تهدف إلى تقرير مفاهيم موضوعية فى نصها، ومثل هذا الأسلوب قد ورد فى مواضع متعددة من أشعارها. وعلى سبيل المثال فى النص الشعرى المعنون بـ «ذهب الذين نحبهم» تعبر الشاعرة عن أحاسيسها الحزينة بطرح سؤالين متتاليين لتبين تحيرها وعدم قدرتها على تحمّل الظروف السيئة إذ تقول: «ذهب الذين نحبهم.. / لاصوت للأحزان، أنظر / تتساقط الكلمات صرعى مثلهم / جثث مشوهة ترى ماذا أقول لهم؟/ ومن عيني ومن قلبي تسيل دماؤهم؟» (المصدر نفسه: ٤٣٢) وفى قصيدة «لن نبكى» نلاحظ وقوف الشاعرة على أطلال يافا و انصدامها وتحيرها لما حل بمدينة يافا وتبين عجز الأطلال عن تفسير ما حدث ثم تطرح الشاعرة بعض الأسئلة المتتالية التى تشير إلى تردد الشاعرة فهى تحاول أن تبحث عن المرّدين وربما الشهداء ولكن لا تردّ عليها أطلال الدار: «وأنّ القلب منسحقاً/ وقال القلب: ما فعلت؟ بك الأيام والدار؟ وأين القاطنون هنا؟ وهل جاءتك بعد النأى هل / جاءتك أخبار؟... فأين الحلم والآتى وأين همو/ وأين همو؟...» (المصدر نفسه: ٣٩٧) كذلك نرى أن إبراهيم طوقان قد استخدم هذه الظاهرة أيضاً، ولكن بنسبة أقل من أخته، وفى مواضع قام بطرح الأسلوب الاستفهامى بشكل أسئلة قصيرة وهنا نذكر نموذجاً أورده فى قصيدة «فلسطين مهد الشهداء» حين يتساءل عن سبب بيع الأراضى من قبل المواطنين العرب فىرى أنّهم عمى لا يستطيعون التنبؤ عما ينتج من وراء فقد تلك الأراضى قائلاً: «من ذا ألوم سوى بنى وطنى على هذا البلاء؟» (إبراهيم، ٢٠١٢م: ٢٠٥) فالسؤال القصير إن دل على شئ فهو يدلّ على الحيرة وربما يكون قصد الشاعر هنا التأكيد على قصور أبناء وطنه.

ونورد على سبيل المثال قصيدة "ذكرى دمشق" التى يقول فيها:

وشعور نسقتّه فى بيانى ودموع أودعتها أشجانى

هل أمنا العداة حتى رقدنا أم وجدنا الهوان حلوا المجاني؟
 أين منّا الأبي؟ أين المعزى؟ أين منّا معذب الوجدان؟
 فاتقوا الله واذكروا نهضة الشّا م وخصّوا العدو بالأضغان

(ابراهيم، ٢٠١٢م: ٣٣)

لقد قام الشاعر بطرح أسئلة في البيت الثاني والثالث؛ ليعبر عما يعتره من الشك وعدم الثقة ويأسه من الأوضاع التي تمر عليه، وإذا تفحصنا الأمر نجد أن نوعية استخدامه للأسئلة تتمايز عن فدوى، حيث أن استخدامات فدوى يتخللها التردد والتشكيك في سياق نصها الشعري، ولكن استخدامات إبراهيم توحى بالتحسر والندامة مما مضى، ونخلص إلى أن الأساليب الاستفهامية لدى الشاعرين مع الأخذ بعين الاعتبار موضوع الشهادة والمقاومة، تستظهر مشاعر الشاعرين تجاه الواقع الأليم بنوع من عدم الثقة وعدم القطعية، وهذا ما توصلنا إليه من خلال إحصاءاتنا لجملة معطيات أساليب الاستفهام، فكانت نتائج احتساب تكرارها حسب ما يلي:

التكرار	قصائد فدوى طوقان	التكرار	قصائد ابراهيم طوقان
٤	الفدائي والأرض	٧	ذكرى دمشق
٣	مرثاة إلى نمر	١	البلد الكتيب
٣	إلى الشهيد وائل زعيتر	٢	الثلاثاء الحمراء
٧	لن أبكي	٠	الشهيد
٤	خمس أغنيات للفدائيين	٣	فلسطين مهد الشهداء
٤	النورس ونفى النفى	٢	رثاء الشيخ الكرمي
٢	ذهب الذين نحبهم	٠	خالدون
٠	جريمة قتل في يوم ليس كالأيام	١	شريعة الاستقلال
٠	شهداء الإنتفاضة	٠	الفدائي
١	حبيب مدينتي	٠	الشريف حسين

الجدول رقم ٥: تكرار أساليب الاستفهام

استخدم إبراهيم طوقان أسلوب الاستفهام ١٦ مرة واستخدمت فدوى ٢٨ مرة، وهذا

التوظيف يؤيد نظرية لاکوف بأن النساء يستخدمن أسلوب الاستفهام بنسبة أكبر من الرجال.

المستوى الفكري

تعزو اللغوية روبن لاکوف التمايزات اللغوية بين الرجال والنساء إلى الاختلافات على المستوى العقلي أى ما يرتبط بخصائص الدماغ بين الجنسين مما يؤدي إلى اختلاف فى التفكير والسلوكيات بين الذكر والأنثى.

فالرجال مختلفون عن النساء، وتختلف أدمغتهم عن بعضها، والذي ينتج عنه فى النهاية اختلاف فى المفاهيم والأولويات والسلوك.

وسنورد فيما يلى ميزتين بارزتين من خصائص المستوى الفكري لدى الشاعرين:

١- التصريح فى إبراز المشاعر والأحاسيس

بناءً على ما توصل إليه الباحثون، فإن النساء يتميزن بتأثر عاطفى أكبر من الرجال، وهذا ما يتصور ويبدو من كلامهن. (عاملى، ١٣٨٨ش: ١٥١)

فى الواقع ترى لاکوف أن من أهم الخصائص الفكرية لدى النساء الشواعر فى القياس بالشعراء الرجال يكمن فى هذه الصراحة العاطفية. (لاکوف، ٢٠١٢م: ٢٤٤)

مثل هذه السمات تبعث على تجسيد الأفكار التى تتعلق بالتعبير عن المشاعر والأحاسيس كالحزن والألم والحب والاضطراب وغيره فى الشعر النسوى، فتمتع النساء بالقدرة على فهم المشاعر الرقيقة أفضل من قدرة الرجال على ذلك، لأن المرأة منذ فترة طفولتها وهى عاطفية فى تفكيرها وانفعالاتها.

وبناءً على ما قيل تسعى فدوى طوقان أن تعطى مجالاً أوسع لعواطفها عند توصيف الشهيد، وتطلق العنان لمشاعرها، وتبرز أحاسيسها تجاه الشهداء بألفاظ مختلفة، فتقول: «يا ولدى، يا كبدى / من أجل هذا اليوم من أجله ولدتك / من أجله منحتك / دمی وكل النبض / وكل يمكن أن تمنحه أمومة / يا ولدى يا غرسة كريمة / اقتلعت من أرضها الكريمة / إذهب فما أعز منك يا / بنى إلا الأرض.» (طوقان، ١٩٩٣م: ٣٩١)

فى هذا الجانب من القصيدة استخدمت الشاعرة لفظة "كبدى" وهى من الألفاظ الأكثر استعمالاً لدى النساء لبيان تعلقاتها وانفعالاتها العاطفية، أيضاً استخدام أسلوب النداء ومخاطبة الشهيد مخاطبة الأم للابن و"ولدى" و"بنى" يدل على سيطرة مشاعر الأمومة لديها، فالأم نبع الحنان والحب ومصدر الطمأنينة والأمان، حيث نلاحظ هنا تكرار لفظة "ولدى" وأسلوب النداء والإتيان بضمير المتكلم التى تلهم النسبة القوية والرابطة الحميمة يدل على أن مشاعر أم الشهيد تمتلئ لديها وألهمت عواطفها وأذكت أحاسيسها ولا بد ألا ننسى أن النقاد أجمعوا على أن الأدب يتكون من عناصر أربعة: العاطفة والمعنى أو الفكرة والأسلوب والخيال، فالعاطفة هى مجموعته المشاعر والأحاسيس التى يحسها الأديب فهى ركن من أركان العمل الأدبى لاسيما الشعر فمن البديهي أن يوظفها الشعراء فى نصوصهم الشعرية من رجال ونساء خاصة إذا كانت المضامين تستلزم ذلك أمثال الموضوع الذى نحن بصدده فى هذا البحث "الشهيد". وعلى هذا فإن أشعار إبراهيم طوقان على الرغم من إحتوائها على العناصر الأدبية الأربعة المذكورة إلا أنه يلحظ أن لون الأحاسيس والتصريح العاطفى فيها يبدو باهتاً، وكأنه كبت انبعاث وانطلاق مشاعره نوعاً ما. ففى قصيدة "الثلاثاء الحمراء" تتجلى لدينا انعكاسات عوطف ضعيفة ممزوجة بنسبة قليلة من النفس حيث يقول:

لما تعرّض نجمك المنحوسُ	وترتحت بعري الحبال رؤوسُ
ناح الأذان أعولَ الناقوسُ	فاليل أكر، والنهار عبوسُ
طفقت تثور عواصفُ	وعواطفُ
الموت حيناً طائفُ	أو خاطفُ
والمعول الأبدى يعنى فى الثرى	ليردّهم فى قلبها المتحجرُ

(إبراهيم، ٢٠١٢م: ١٣١)

وكما هو واضح فى الآيات أن الشاعر استخدم فى هذا المشهد من القصيدة عبارات أمثال: القلب المتحجر، ونجمك المنحوس، والنهار عبوس، وعواصف الموت، وكان يتوقع أن تنساب أحاسيسه بوفرة، وتثور، ولكن يتبن لنا أن الشاعر صادق فى نقل أحاسيسه ويتناسب والمقام خاصة وهو يرسم بصورة جلية واقعة اليمة وهى استشهاد ثلاثة من

الفدائيين، إلا أنه من منظور مقارنته بفدوى فهو أقل تأثراً من الناحية العاطفية ولم يتمكن من الوصول إلى الهدف المنشود في مثل هذه المواضع الشعرية. في الحقيقة، فإن الشاعرين قد وظفا العاطفة في أعمالهم الشعرية، ولكن نسبة استخدام الأحاسيس الصريحة والمباشرة من غير تغليف وغموض لدى فدوى طوقان شغل حيزاً أكبر. وفي الجدول المدون أدناه سجلنا المعطيات الاحصائية لتكرار الألفاظ الدالة على التصريح بالعواطف والأحاسيس:

التكرار	قصائد فدوى طوقان	التكرار	قصائد ابراهيم طوقان
٢	الفدائي والأرض	٢	ذكرى دمشق
٧	مرثاة إلى نمر	٣	البلد الكئيب
٧	إلى الشهيد وائل زعيتر	٢	الثلاثاء الحمراء
٥	لن أبكى	١	الشهيد
٣	خمس أغنيات للفدائيين	٢	فلسطين مهد الشهداء
٥	النورس ونفى النفى	١	رثاء الشيخ الكرمي
٤	ذهب الذين نحبهم	٠	خالدون
٣	جريمة قتل في يوم ليس كالأيام	١	شريعة استقلال
٢	شهداء الإنتفاضة	١	الفدائي
٣	حبيب مدينتي	١	الشريف حسين

الجدول رقم ٦: تكرار التصريح بالعواطف والأحاسيس

نلاحظ أن نسبة حضور المفردات العاطفية النسوية لدى الشاعرة أكثر من أخيها وهذا يؤيد نظرية لاكوف.

٢- الاهتمام بالتفاصيل اللجزئية والتوصيف الدقيق

المبالغة في ذكر التفاصيل والوصف الدقيق من الملامح الأخرى لأسلوب المرأة والتي تتأصل في فطرتها وتركيب ذهنيها.

تتميز النساء عن الرجال بالتركيز على التفاصيل بشكل كبير وهو أسلوب

التواصل المفصل، وهذا يبين نوع من التفكير فى أى شىء وحب الاستطلاع الذى يعترىها فى الكشف أكثر فأكثر وعليه ترى لأكوف أن كتابة التقارير الجزئية لواقعة أو مشهد ما والمبالغة فى نقلها بدقة من الخصائص اللغوية المتجلية فى الكتابة النسوية. (فتوحى، ١٣٩١ش: ٤١٤)

يرى الباحثون أن سمة الاهتمام بالتفاصيل الجزئية لدى النساء يعزى إلى حب الاستطلاع والفضول الذى يتصفن به، وأيضاً أوقات الفراغ المتوفرة عندهن بصورة أكبر عن الرجال، أيضاً يعتقد هؤلاء أن حرمان المرأة من الساحات الاجتماعية وانتظارها لعدة قرون للإفصاح عن ذاتها بالكتابة قد ساقها إلى التعويض عن ذلك الحرمان بتفجير طاقاتها الكامنة دون التقيد بالإطار المنطقى لذلك. (أمين، ١٣٨٤ش: ٩٧)

ومن هذا المنظور تواجهنا فى أشعار فدوى طوقان مقاطع متعددة، وتقوم فيها بالغور فى التفاصيل والنظرة بدقة لما تصف بدلاً من الأيجاز، ويبدو أن النساء يعلقن أهمية بالغة فى إقناع المخاطب باعتباره المقرب من المتحدث، وأنهن لا يتخلين عن الكلام إلا بعد تمكنهن من غرضهن، ولا يمكننا أن نتجاهل جهود المرأة فى أدائها هذا عند عرضها الموضوع بوضوح وبصورة مكتملة، ولهذا نرى فى ثنايا توصيف فدوى للشهيد اهتمامها بجميع التفاصيل الجزئية، فكما يتبين لنا فى قصيدة "إلى الشهيد وأهل زعير" تدقق الشاعرة بالتفاصيل وتحاول أن تعرض لنا الصورة مكتملة من كل الجوانب: «أنت يا شمس القضية / نم هنا فى الوطن الحانى فانت الآن فيه / يا بعيداً وقريباً / يا فلسطينى أنت! أيها الراض للموت هزمت الموت حين اليوم مت» (طوقان، ١٩٩٣م: ٣٩١) ويستدل على ذلك فى كلامها فى هذا المقطع من القصيدة عندما تبدى معطياتها، وتسعى لاستحضار أوصاف محسوسة وفى نفس الوقت جزئية ودقيقة للقارئ، والشاعرة تستمر فى عرض الصفات حتى تكتمل الصور فى ذهنية القارئ ولم تتبع الأسلوب العابر والنظرة الكلية، بل كأنها تشرح قضية لا تتوفر عنها معلومات كافية، وهذا يتناسب مع شخصيتها وطبيعة لغتها فى الكتاب النسوية.

اما بالنسبة لأشعار إبراهيم طوقان قياساً بأخته، فهو لم يتطرق للتفاصيل الدقيقة على نطاق واسع بسبب التمايزات الجنسية، فاعتباراً من كونه رجل تسمى لغته انعكاساً

لتفكيره وفطرته الذكورية وخاضعة لمعاييرها. إنه ينظر للأشياء نظرة عامة وعابرة ولم يعتن بجميع التفاصيل، فإذا تفحصنا وصفه للشهيد "شريف حسن" الذي استشهد في حربه ضد العثمانيين نجد أنه يصف الشهيد بإيجاز دون التركيز على التفاصيل الدقيقة:

رحمةُ الله عليه إنَّه غالهُ اليأسُ، وكان الأملُ
ويحُ قومُ خذلوه بعدما أخذوا الميثاقَ ألاَّ يخذلوا
شيمةُ الغدِ الدرِ بمنِ ينصرهم ذهبت يا ابنِ عليٍّ مثلاً
آل بيتِ المصطفى لم تبرحوا تردون الموت في ظلِّ العلاءِ
كادت الكأسُ التي في قُبرص تشبه الكأسَ التي في كربلا

(ابراهيم، ٢٠١٢م: ١٧٢)

يبدو لنا من هذه الأسطر الشعرية أن الشاعر إبراهيم طوقان يرثي الشهيد، ويأتي بألفاظ كالأمل واليأس والميثاق والخذلان والغدر في سياق نصه الشعري والتي لا تتناسب مع أسلوب الدقة، وكأنه يسعى بإفادتنا ببعض المدائح في رثائه للشهيد، وإيصال فكرة عامة عنه دون الخوض في التفاصيل لجانب من أوصافه أو خصائصه.

النتيجة

إذا نظرنا إلى فدوى وإبراهيم طوقان من حيث المنشأ نجد أنهما ينتميان إلى أسرة واحدة، وترتبطهما رابطة الأخوة، ويشتركان في العوامل الوراثية والبيئية والثقافية و... ولكن إذا تفحصنا التمايزات اللغوية الجنسوية تواجهنا بعض الفروق، مع أنها لا تشغل حيزاً واسعاً في أعمالهما الشعرية إلا أن بعض العناصر البنيوية لنظرية لأكوف تُلاحظ في أعمالهما الشعرية على المستوى اللغوي والفكري.

بالنسبة للفرع اللغوي كما ذكرنا فيما مضى احسب رؤية لأكوف تقوم المرأة بسبب تأثرها بالحالات النفسية بالاعتماد على الشدة الصوتية بشكل أكبر من الرجل لإبراز تفكيرها وهذا بدوره يؤدي إلى تعدد المقاطع والارتكاز في الشعر. فكما لاحظنا تتميز أشعار فدوى طوقان بالشدة وإثارة المشاعر مما يبعث على تجلي الارتكاز والتكرار في كتاباتها على نطاق أوسع من أخيها، حيث نجد أن هذه الظاهرة تبرز مراراً بصورة

الارتكاز على الكلمة والارتكاز على الجملة. وقد عملت فدوى جاهدة على أن يصل صوتها إلى العالم عن طريق أعمالها الأدبية هذا الصوت الثائر في وجه الغاصبين المحتلين الذين أودوا بحياة الفلسطينيين بكل قدرة وشدة في الصوت، وبالقياس كان إبراهيم طوقان قد اتخذ أسلوباً أقل حدة في الشدة الصوتية من أخته في معالجة موضوع الشهيد والمقاومة والانتفاضة من حيث العناصر اللغوية وفق نظرية لاكوف، وهذا يرجع إلى أن الفترة التي عاشها إبراهيم لم يشهد فيها النكبة التي حلت بالفلسطينيين وخسران وطنه لصالح إسرائيل، ولم يشهد اجتثاث الفلسطينيين من أرضهم وهدم معالم مجتمعاتهم وهجرة اليهود الكبرى إلى وطنه، وهكذا نستطيع أن نستكشف تأثير تلك العوامل السياسية والاجتماعية في أشعاره التي اتسمت بعدم سيطرة النبر والشدة الصوتية عليها. وفي مجال حضور الألوان نجد شواهد شعرية من حيث استخدامها سواء بصورة مباشرة كالأحمر والأخضر أو غير مباشرة كالأسود في كلمة الظلمة إلا أن الصورة غير المباشرة نسبتها أكثر. كما تشير النتائج إلى أن الشاعرة قد وظفت الألوان ضعف شقيقها، والنقطة المعنى بها أن موضوع الشهيد والمقاومة يتطلب استخدام اللون الأحمر في سياقه، وهذا ما لاحظناه حيث لم يتطرق الشاعران للألوان الأخرى.

وبالنسبة لاستخدام الكلام التشكيكي، والألفاظ الظنية لم يكن مشهوداً بالشكل الكبير وذلك يعزى لما يتطلبه المقام في العينة المدروسة وإن استعملتها فدوى أكثر من أخيها فهذا ما يؤيد نظرية لاكوف. وحسب التمايزات الجنسوية للنظرية فالكتابة النسوية تتميز باستخدام الاستفهام والأسئلة القصيرة، فكانت فدوى قد سبقت إبراهيم في هذا الجانب اللغوي بسبب روحانياتها الأنثوية.

أما فيما يخص المستوى الفكري إلى أن عنصر العاطفة يغلب على شعر فدوى طوقان في نصها المدروس أي مضمون الشهيد،

كما يحمل في طيات شعره التصريح في تجسيد المشاعر والأحاسيس بشكل ملحوظ، ويتبين ذلك عن طريق توظيف التعابير والمضمونية التي تدل على استخدام هذا الأسلوب، أيضاً نلاحظ في أشعارها الاهتمام بالجزئيات والتفاصيل الدقيقة والذات يعتبران من خصائص الكتابة النسوية حسب نظرية لاكوف، ولكن لم يكن إبراهيم على

مستوى أخته في هذين المجالين، فعلى الرغم من وجود عنصر العاطفة لديه إلا أن التصريح في بيان الأحاسيس لم يشغل حيزاً واسعاً في كتاباته، أيضاً كانت نظريته لما يصف ويعالج نظرة عابرة وعامة، ولم يدخل بالتفاصيل وهذا أيضاً يتناسب والكتابات الذكورية.

وتأسيساً على ما ذكرناه، واستناداً لما استخرجناه من الجداول المدونة في الدراسة، تجدر الإشارة إلى أن ثمة خصائص لغوية وفكرية مائزة للجنسين، فإن الشعارين على الرغم من وجود قرابة أخوية ومعالجة موضوع موحد، توجد لديهما تمايزات لغوية وفكرية وفق مباني نظرية لاكوف.

المصادر والمراجع

العربية

- امين، سيدحسن. (١٣٨٤). ادبيات معاصر ايران. تهران: دايرة المعارف ايرانشناسى.
- انطاكى، محمد امين. (لاتا). المحيط فى أصوات العربية. بيروت: دار الشروق العربية.
- بالفور، پاتريك. (١٣٧٣). قرون عثمانى. ترجمه پروانه ستارى. تهران: كهكشان.
- برهومة، عيسى. (٢٠٠٢). اللغة والجنس حفريات لغوية فى الذكورة والأنوثة. الأردن: دار الشروق.
- بوقلاقة، سعد. (٢٠٠٣). الشعر النسوى الأندلسى. بيروت: دار المطبوعات الجامعية.
- ترادجيل، پيتر. (١٣٧٦). درآمدى بر زبان و جامعه. ترجمه: محمد طباطبايى. تهران: آگه.
- سان هوارد، دوروتى. (١٣٧٨). زندگى با رنگ. ترجمه نغمه صفاريان. تهران: حكايت.
- السعران، محمود. (لاتا). علم اللغة مقدمة للقارى العربى. لبنان: دار النهضة العربية.
- طاهرى، قدرت الله. (١٣٨٨). «زبان و نوشتار زاننه؛ واقعت يا توهم؟». مجله متن پژوهى ادبى. س١٣. ش ٤٢. صص ١٠٧-٨٧.
- طوقان، فدوى. (١٩٩٣). الأعمال الشعرية الكاملة. ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- طوقان، ابراهيم. (٢٠١٢). الأعمال الشعرية الكاملة. ط١. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر.
- فتوحى، محمود. (١٣٩٠). سبک شناسى نظريّه ها، رويکردها و روش ها. تهران: سخن.
- الملائكة، نازك. (٢٠٠٧). قضايا الشعر المعاصر. ط١٤. بيروت: دارالعلم للملايين.
- الموسى، خليل. (٢٠٠٣). بنية القصيدة العربية المعاصرة. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- نجفى، ملاحى. (١٣٩٤). «نقد و تحليل رمان چراغها را من خاموش مى كنم از منظر زبان و جنسيت». دو فصلنامه علوم ادبى. دوره ٥. ش ٧. صص ٢١٢-١٨١.
- وارداف، رونالد. (١٣٩٣). درآمدى بر جامعه شناسى زبان. ترجمه: رضا امينى. ج ١. تهران: نشر

بوی کاغذ.

وفایی، عباسعلی. (۱۳۹۷). «بررسی کارکرد زبان و جنسیت در دیوان جهان ملک خاتون شیرازی بر مبنای نظریه DSL». مجله متن پژوهی ادبی. دوره ۲۲. ش ۷۶. صص ۱۶۴-۱۴۳.
ویوین، بار. (۱۳۸۳). جنسیت و روانشناسی اجتماعی. ترجمه: حبیب احمدی و بیتا شایق. شیراز: نوید شیراز.

الإنجليزية

Nemati, Azadeh and Bayer, M. Jennifer. (2007). Gender differences in the use of linguistic forms in the speech of men and women-A comparative study of Persian and English. *Glossa* (ISSN 1931-7778), (3)1, pp. 185-201.

Lakoff, R. (1990). Extract from language and woman's place. In D.Cameron (Ed.) *The Feminist critique of language: A reader* (pp.221-234). London & New York: Routledge.

Lakoff, Robin. (2010). *Literary Language and Woman's Place*, Washington: Harper and Row Publishers.

----- (2012). *The DSL Theory and Literary Language*. Washington: the University of Chicago Press.